حروب إسرائيل.. هل تعزز طموحات إيران الاستراتيجية في المنطقة؟

مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية

مع اقتراب الحرب الإسرائيلية ضد غزة من ذكراها السنوية الأولى، وغياب أي أمل بالأفق للتوصل إلى وقف الحرب كخطوة أولى تتبعها خطة سلام دائمة من شأنها حل الصراع بين الإسرائيليين والفلسطينيين؛ ندد المراقبون الغربيون مثل ستيفن والت أستاذ العلاقات الدولية بجامعة هارفارد بالانحدار الخطير في التفكير الاستراتيجي الإسرائيلي وآلية تطبيقه، والذي جاء على حساب الاستقرار الإقليمي، بل وأيضًا المصالح الأمنية الإسرائيلية على المدى الطويل.

ولفت إلى أن اتباع بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلي مصلحته الشخصية وإطالته لأمد الحرب لحماية مستقبله السياسي، وكذلك زيادة الحماس لدى حلفائه من اليمين المتطرف -مثل: بتسلئيل سموتريتش وزير المالية، وإيتمار بن غفير وزير الأمن القومي- لتوسيع نطاق الحرب إلى لبنان وما بعده؛ قد أدى إلى تعزيز الأهداف الاستراتيجية للنظام الإيراني.

وعبَّر عن هذه الحقيقة دينيس روس مبعوث السلام السابق إلى الشرق الأوسط في مجلة فورين بوليسي؛ وأكد أن قرارات حكومة إسرائيل تخدم مصالح قادة إيران، الذين يعترفون بأنهم يلعبون لعبة طويلة فيما يتعلق بالصراعات الإسرائيلية المستمرة في لبنان، والضفة الغربية؛ وغزة، لتعزيز طموحاتهم الإقليمية.

وأصاب روس في تأكيده تقويض الاعتداءات الإسرائيلية للأمن والاستقرار في مختلف أرجاء المنطقة، والتي صبت في صالح إيران بشكل عام، بيد أن اقتراحاته بشأن كيفية عكس هذا الاتجاه - بدءًا بوقف إطلاق النار في غزة تشترك في المشكلة نفسها التي تعاني منها التعليقات الغربية الأخرى على الحرب، والتي تخطئ في تقييمها لنوايا نتنياهو بالالتزام بمواصلة الحروب في المنطقة بغض النظر عن التكلفة التي قد تترتب على أمن بلاده واستقراره الإقليمي الأوسع.

وفي تفسير روس لاستراتيجية إيران والمتمثلة في إبقاء إسرائيل رهينة لضغط مستمر واستهلاكها في صراعات مستمرة على حدودها؛ فقد رأى أن الممارسات الإسرائيلية وأفعالها الرامية إلى توسيع نطاق الحرب في غزة قد أضفت الشرعية على هذه الاستراتيجية.

والواقع أن تباهي نتنياهو بكيفية محاربة بلاده لأعداء متعددين في حرب على سبع جبهات لا يعكس قوة إسرائيل المفترضة والتي تضاهي قوة جيرانها؛ بل لهو دليل على ضعفها الاستراتيجي التي خلقته بنفسها من خلال الانتهاكات ضد الشعب الفلسطيني وأعماله العدوانية بهدف زعزعة استقرار المنطقة. وبالرغم من أن إسرائيل هي التي دأبت على تصعيد الصراع بمختلف أنحاء المنطقة، إلا أن روس قد أكد أن ائتلاف نتنياهو يلعب وفقًا لشروط إيران وليس لشروطه.

ففي غزة نفسها، وعقب ما يزيد على أحد عشر شهرًا من القتل والتدمير والغزو البري ثم الاحتلال، أخفق الجيش الإسرائيلي في تحقيق هدفه المعلن المتمثل في تدمير حماس، وهو ما حذر منه الخبراء الغربيون في بداية الحرب باعتباره خيارًا خياليًا. ورغم إقرار الجيش الإسرائيلي بتلك الحقيقة، إلا أن تدمير غزة استمر بلا هوادة؛ مما أسفر عن استشهاد أكثر من ٤٢ ألف مدني فلسطيني، وأضرار مادية ستكلف عشرات المليارات وعقودًا عديدة لإصلاحها. وفي حين زعم روس أن الجيش الإسرائيلي على مقربة من ادعائهم بأنهم دمروا حماس كقوة عسكرية في غزة، إلا أن بيفرلي ميلتون إدواردز من مجلس الشرق الأوسط للشؤون الدولية، قد أكدت أن الجماعة تبقى عملاقة، وبمنأى عن الهزيمة وأنه خلال الحرب قد تضررت صورة إسرائيل العسكرية بشدة، وخاصة بسبب حقيقة مباغتتها بهجوم ٧ أكتوبر ٢٠٢٣.

أما في لبنان، فقد أشار جوليان بارنز دايسي وحامد رضا عزيزي من المجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية، إلى أن حرب الظل بين إيران وإسرائيل أصبحت أكثر وضوحًا فيها؛ حيث كانت هناك جولات متعددة من التصعيد خاصة بعد التهديدات الإسرائيلية بغزو جنوب البلاد واستخدام الضربات الجوية والصاروخية ضد حزب الله والأصول والأفراد الإيرانيين. وفي هذا السياق، رأى روس أن حزب الله هو الوكيل الوحيد الذي لا تستعد إيران للتضحية به خلال صراعها ضد إسرائيل، كما أوضح بارنز دايسي وعزيزي أن تركيز طهران على الحفاظ على نفوذها وقدراتها الردعية يوفر بالفعل فرصًا لمنع حرب أوسع نطاقًا.

وعلى الرغم من أن توماس جونو أستاذ مساعد الشؤون العامة والدولية في كلية الدراسات العليا بجامعة أوتاوا قد أشار إلى أن طهران وحزب الله لا يستطيعون تحمل حرب شاملة مع الولايات المتحدة وإسرائيل وذلك لأنهم أكثر ضعفًا من الناحية المادية والاقتصادية، رغم تأكيد علي فائز مدير مشروع إيران في مجموعة الأزمات الدولية، أن التأخيرات في رد إيران على الاستفزازات الإسرائيلية في لبنان تؤكد أن خياراتها للرد تتراوح بين السيئة والكارثية، إلا أنه مع كل ذلك تبقى الاغتيالات الإسرائيلية والضربات الجوية والتهديدات بغزو حزب الله لا تحقق أي فائدة استراتيجية.

وأكد روس أن كلًا من إيران وحزب الله لا يزالان يصران على إبقاء إسرائيل تحت ضغط مستمر وحروب استنزاف، كما اعترف بأن إسرائيل قد تنهار تحت هذا الضغط، مشيرًا إلى أن حكومة نتنياهو بحاجة إلى استراتيجية جديدة يتم وضعها قيد التنفيذ بدءًا بإنهاء الحرب في غزة. لكن تلك الفرضية تبقى مثيرة للشك بسبب محاولات نتنياهو تأخير مفاوضات وقف إطلاق النار، وآخرها رفضه الاعتراف بوضع ما بعد الحرب على الحدود بين غزة ومصر. وقد أشارت جينيفر روبين من صحيفة واشنطن بوست، إلى أن رئيس الوزراء الإسرائيلي يفضل استمرار الحرب على مواجهة ائتلافه بشأن خطة لما بعد حرب غزة، متخذًا خطوات استفزازية في المقابل لعلمه بأن الأمريكيين سيتدخلون لإنقاذ إسرائيل عندما تنتقم إيران.

وبالنظر إلى ما يجب على الولايات المتحدة فعله في هذه الحالة، أشار روس بأن الإدارة القادمة في البيت الأبيض - سواء كانت بقيادة كامالا هاريس أو دونالد ترامب - يجب أن تكون مستعدة لاتخاذ خطوات تجعل الخيارات الصعبة لفرض السلام بالنسبة إلى إسرائيل أكثر سهولة، وذلك للتبرير أمام صانعي السياسة الأمريكية الذين لا يزالون ملتزمين بدعم حروب إسرائيل على الرغم من المعاناة الإنسانية الهائلة، والأضرار المادية، وعدم الاستقرار الجيوسياسي الذي تسببت فيه.

ومع ذلك، فإن مثل هذا الحل المعقد يتجاهل الواقع، ليس فقط في كيفية استمرار قادة إسرائيل في تأكيد أنهم يسيطرون على هذه الأراضي، ولكن أيضًا يتجاهل حقيقة أن الإدارتين المحتملتين قد أوضحتا التزامهما بمساعدة إسرائيل ورفض تغيير حماية إدارة بايدن لإسرائيل من المساءلة الدولية.

وعلى العموم، مع وجود هذا التحول في الموقف الأمريكي الذي يأمل روس في حدوثه والذي من المحتمل أن يقابل ببرود من قبل نتنياهو وحلفائه من اليمين المتطرف، فإن استمرار الحرب في غزة وتوسيع الحروب في المنطقة، ولا سيما في لبنان، هو شهادة ليس فقط على تنفيذ الاستراتيجية الأساسية لإيران المتمثلة في إرهاق إسرائيل جراء مزيد من الأزمات التي تكلفها خسائر عسكرية وتعزلها سياسيًا على الساحة الدولية، ولكن أيضًا دلالة على ما اعتبره والت سياسة خلق مشكلات لا تنتهي، إن لم تكن كارثية لإسرائيل.

إن تصاعد ما يسمى بـ«حرب الظل» بين إيران وإسرائيل في المنطقة له تداعيات كبيرة على الأمن والاستقرار الإقليميين، ولكن عمل القادة بطريقة تحافظ على سلطتهم الشخصية على حساب معاناة الملايين وحتى على حساب المصالح الاستراتيجية طويلة الأمد نتنياهو مثالا، يبرز كيف أصبحت الجهود الدبلوماسية الخارجية، مثل تلك التي تقوم بها الدول الغربية، غير قابلة للتطبيق في المنطقة.

قضايا الشرق الأوسط بين هاريس وترامب

بقلم:
محمد المنشاوي ○

لم تشغل قضايا السياسة الخارجية إلا حيزا ضئيلا من كل المناظرات الرئاسية التي جمعت الرئيس السابق دونالد ترامب سواء بجو بايدن أو خليفته كامالا هاريس. ويتفق هذا مع القول الشهير إن كل السياسات محلية، بل ومحلية جدا في الحالة الأمريكية. وليس من المستغرب أن الناخبين الأمريكيين لم يسمعوا كثيرا من الآراء في المناظرات، ناهيك عن العمق، حول قضايا السياسة الخارجية خاصة بالنسبة إلى هذه الدورة الانتخابية التي تتزامن مع اهتمام ضخم بقضايا محلية تمس حياتهم مباشرة، من ارتفاع قياسي في أسعار المواد الغذائية إلى حق المرأة في الاختيار والإجهاض، وقدوم ملايين المهاجرين غير الشرعيين. أي إن هناك ما يكفي من القضايا المحلية التي تثقل كاهل الناخبين ولا تترك مساحة صغيرة لأي من المرشحين لإعطاء الأولوية لقضايا السياسة الخارجية خاصة مع عدم تورط الجيش الأمريكي في حروب مباشرة وضخمة.

ولا يختلف موقف الحزبين، الديمقراطي والجمهوري، كثيرا تجاه القضايا الخارجية الرئيسية لبلادهم، سواء تجاه مواجهة التحدي والصعود الصيني المستمر، أو تجاه ضرورة إنهاء الغزو الروسي لأوكرانيا، أو حينما يتعلق الأمر بدعم العدوان الإسرائيلي المستمر على قطاع غزة.

يتخذ المرشحان موقفا شبه موحد تجاه استمرار الدعم الأمريكي غير المشروط لإسرائيل، ويكرر الفريقان مقولة حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها عند تعرضهما لأي سؤال حول مخالفة الحكومة الإسرائيلية للقوانين الأمريكية أو الدولية.

وفي وقت يرى بعض المراقبين العرب أن هاريس تتعاطف مع المحنة الفلسطينية، يمثل دعمها الكامل وغير المشروط لإسرائيل الموقف الأكثر وضوحا واتساقا مع سياسات حزبها تجاه الصراع.

نال العدوان الإسرائيلي على غزة بعض الإشارات الضئيلة في المناظرة الرئاسية لم تزد مدتها عن خمس دقائق. ويؤكد ترامب أن بإمكانه التفاوض السريع والحاسم مع رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو وحركة حماس لتأمين اتفاق لوقف إطلاق النار وإطلاق سراح الرهائن المحتجزين في غزة.

وأكدت هاريس وكررت دعمها لإسرائيل والحاجة إلى إطلاق سراح الرهائن، كما أشارت إلى أن دعم الولايات المتحدة لـ«حل الدولتين» من شأنه أن يمنح الفلسطينيين الأمن والسيادة. وقالت: «ما نعرفه هو أن هذه الحرب يجب أن تنتهي».

وتؤيد هاريس وقف إطلاق النار الذي ستطلق فيه حماس سراح جميع الرهائن الذين احتجزوا في هجوم ٧ أكتوبر على إسرائيل، مع انسحاب الجيش الإسرائيلي من غزة. دعت لأول مرة إلى وقف إطلاق النار في أوائل مارس، وكانت أكثر صخبا إلى حد ما من الرئيس بايدن حول الأزمة الإنسانية التي سببها القصف والغزو الإسرائيلي في غزة.

وقد أعرب ترامب، الذي قال خلال المناظرة إن هاريس «تكره إسرائيل»، عن دعمه المستمر لغزو إسرائيل وقصفها لغزة. كما حث إسرائيل على «إنهاء» الحرب لأنها تفقد الدعم. وبينما كان ينتقد في البداية نتنياهو والمخابرات الإسرائيلية، واصفا كليهما بعدم الاستعداد لهجوم ٧ أكتوبر، سرعان ما تراجع ترامب عن تلك التصريحات وقال إنه يقف مع رئيس الوزراء الإسرائيلي، الذي كان متحالفا معه بشكل وثيق كرئيس.

وقد أيدت هاريس حل الدولتين اللتين يعيش فيهما الإسرائيليون والفلسطينيون جنبا إلى جنب في دولتين ذاتي سيادة. طرح ترامب اقتراح سلام وصفه بأنه مخطط لحل الدولتين عندما كان رئيسا، لكنه لم يكن ليحقق إنشاء دولة فلسطينية تتمتع بالحكم الذاتي الكامل، وكان ينظر إليه على أنه يفضل إسرائيل بقوة.

وتعبر هاريس عن عدم اتفاقها مع نتنياهو حول إدارته للحرب في غزة، لكنها لم تؤيد الإجراءات التي من شأنها أن تؤثر بشكل ملموس في سلوكه أو سلوك حكومته. وبينما تغيبت هاريس عن خطاب نتنياهو أمام الكونجرس في يوليو الماضي، التقت به على انفراد أثناء وجوده في واشنطن.

دعم ترامب بقوة حكومة نتنياهو، وكرئيس قدم لإسرائيل عددا من الهدايا السياسية، بما في ذلك دعم السياسات الإسرائيلية المتشددة التي رفضتها الإدارات الأمريكية السابقة. إلا أن إدارة بايدن - هاريس، لم ترد أيا من هذه الهدايا التي وعدت بها الجانب العربي مثل إعادة فتح مكتب منظمة التحرير الفلسطينية بواشنطن، أو فتح القنصلية الأمريكية بالقدس الشرقية لخدمة فلسطيني المدينة، ولم تعد العمل بالاتفاق النووي مع إيران. ومنذ أن خسر ترامب انتخابات عام ٢٠٢٠، كان أقل ودية إلى حد ما تجاه نتنياهو، على ما يبدو لسبب شخصي وهو تهنئته للرئيس بايدن على فوزه.

لا يكترث المرشحان والحزبان بقضية الديمقراطية وحقوق الإنسان، لا في الشرق الأوسط ولا خارجه. ويظهر ذلك في موقف بايدن تجاه حلفائه التقليديين بالشرق الأوسط رغم لغة الخطاب الانتخابي القوية عام ٢٠٢٠. ولم تتعرض هاريس لأي من هذه القضايا الهامشية والتي تُستغل فقط لخدمة أهداف السياسة الخارجية الأمريكية الاستراتيجية والصريحة، وتجاه هذه القضايا، يتخذ ترامب موقفا أكثر صراحة ووضوحا، إذ لا يكترث بقضايا الديمقراطية وغياب الحريات وانتهاكات حقوق الإنسان حول العالم.

في النهاية لم يخض ترامب أي حرب خارجية، ووصل إلى اتفاق سحب قوات بلاده من أفغانستان، وحاول رد هوة الخلاف مع كوريا الشمالية، في خطوات دراماتيكية لم يجرؤ عليها رئيس أمريكي آخر. وبصرف النظر عن تأكيد الدعم لإسرائيل، لا أجد فارقا واضحا بين ترامب وهاريس في دعمهما لإسرائيل، لكن في الوقت ذاته، يسمح كون ترامب من خارج أجهزة ومؤسسات الحزب والدولة، أن يمنحه بعض الحرية في اتخاذ قرارات ومواقف مغايرة خارج الصندوق، والتي لن تكون خبرا سيئا للجانب الفلسطيني بعدما منح ترامب إسرائيل ما تريد خلال فترة حكمه الأولى، وهو ما دعمه ووثقه ولم يغيره بايدن وهاريس.

○ كاتب صحفي متخصص في الشؤون الأمريكية

عالم يتغير

الأمين العام للأمم المتحدة: هذا العالم الظالم!

فوزية رشيد

○ مساء الثلاثاء بتوقيت منطقتنا وفي الجمعية العمومية للأمم المتحدة في دورتها الـ٧٩ افتتح الأمين العام للأمم المتحدة خطابات قادة العالم، واقفا خلف المنصة ولغة جسده تحمل كثيرا من دلالات العجز وعدم القدرة على فعل شيء تجاه الأزمات المتراكمة في العالم! وتجاه حرب الإبادة في غزة وفتح بوابة حرب إقليمية شاملة من خلال الاعتداءات الشرسة على لبنان التي بدأت بعملية «البيجر» وقتل مدنيين من خلالها، ليتحدث بوضوح عن واقع عالم ظالم لا قانون فيه ولا عدالة ولا إنسانية ولا أخلاقية! لتمر جرائم الحرب دون مساءلة ولا محاسبة! فيما الأمم المتحدة عاجزة بسبب تسلط قوى كبرى من ركام الحرب العالمية الثانية على القرار الدولي! وأشار الأمين العام للأمم المتحدة إلى أن العالم يحاول أن ينفض عن نفسه الاستفراد القطبي الواحد ليتجه إلى التعددية القطبية وخاصة أن هذا العالم الظالم وغير العادل يسيطر فيه ١٪ على أغلب الأصول المالية فيه!

○ اليوم وأغلب قادة العالم وهم يدركون حقيقة ما يحدث في محيطهم الإقليمي والعالمي ولكن يقفون جميعا موقف العاجز كغالبية! والمتواطئ مع الشر الذي تنتجه النخبة الشيطانية لدى البعض الآخر وخاصة في الغرب! فإن اتساع رقعة الأزمات ومحورها المعتاد والغالب هو في الشرق الأوسط والمنطقة العربية! فإن هذا العالم يتجه أيضا نحو المزيد من الحروب المدمرة لكامل البشرية، والمزيد من الأزمات الاستثنائية ومنها الأوبئة والأزمات المناخية وتهديدات الذكاء الاصطناعي التي أشار إليها للمفارقة الرئيس الأمريكي بايدن في خطابه في الجمعية العمومية! وهو مدرك لخطورة التحولات القادمة وحروب المستقبل! متجاهلا أن الولايات المتحدة هي أكثر دول العالم التي تستثمر في تلك التهديدات! ليقول: (إن الذكاء الاصطناعي سيغير أساليب الحياة والعمل وخوض الحروب، مشيرا إلى أن الذكاء الاصطناعي ينطوي على كثير من المخاطر ويحتاج إلى معايير وقواعد لضبطه)! ولكنه لم يقل إن بلده التي يرأسها هي من تسعى إلى تلك المخاطر! ولا تريد الالتزام بأية معايير وقواعد ضبط للذكاء الاصطناعي! لأنها تستثمر فيه وفي الأغلب في الإطار السري!

○ ونحن نستمع إلى بعض خطابات دول العالم نجد أن الجميع يجيد تشخيص الأزمات ولكن لا أحد منهم يمتلك الحلول! حتى الأمين العام للأمم المتحدة واقع بدوره في دائرة العجز وعدم القدرة على اتخاذ القرارات الصحيحة والحاسمة! لأن من يسيطر على المنظمة منذ الحرب العالمية الثانية يضع نفسه فوق القانون وفوق العدالة وفوق الإنسانية والمبادئ الدولية الأخلاقية وهو يرتكب كل جرائم الحرب ضد الإنسانية شعوبا ودولا! ويساند ويدعم بشكل مطلق الوحش الذي صنعه الغرب الصهيوني في المنطقة العربية وهو الكيان الصهيوني لتمتد آثار سلوكيات الحكومة الخفية التي تتحكم في العالم إلى الاستحواذ على كل مؤسسات الأمم المتحدة، بل تهديدها كما يحدث بالنسبة إلى محكمة العدل الدولية وغيرها من المؤسسات إن اقتربت ناحية القوى المتسلطة أو كيانها الصهيوني!

○ وفي حين تدرك كل دول العالم ما يحدث حولها ومَنْ وراء استشراء هذا الظلم العالمي والتأسيس لرجحان كفة الشر حتى في الاستخدامات العلمية والتكنولوجية فإن الأمل الوحيد ربما للخروج من دائرة هذا الشر هو بتوجه الدول نحو تأكيد سيادتها واستقلاليتها من خلال تشجيع التوجه نحو الخلاص من الاستفراد الأمريكي - الغربي بالعالم من خلال تعددية الأقطاب التي لمَّح إليها الأمين العام للأمم المتحدة! ليستعيد بعدها القانون الدولي والمبادئ الدولية في العلاقات بين الدول والشعوب تأثيرهما الحقيقي! ولتتم إشاعة العدالة والمساواة الحقيقية والأخذ بالقيم الأخلاقية والمبادئ الإنسانية كنبراس يتم استعادته في ظل العولمة الدكتاتورية المتوحشة التي يديرها ١٪ من تعداد سكان العالم! وحتى لا تكون خطابات القادة في الجمعية العمومية مفرغة من محتواها لابد من فزعة عالمية في وجه الاستبداد العولمي الذي تديره نخبة شيطانية لا يعنيها غير تسلطها حتى لو أدى ذلك التسلط إلى فناء العالم وأول خطوة في ذلك إصلاح هيكلية الأمم المتحدة نفسها والتخلص من «فيتو» الاستبداد! فهل لدى الجمعية العامة القدرة على ذلك؟!

التواضع الفكري أساس تطور التفكير العقلاني في المجتمع

بقلم:
نبيلة رجب

قد نشعر بأن الإيمان المطلق بصحة أفكارنا يضفي علينا نوعا من الطمأنينة العقلية، ولكن هذا الإيمان قد يتحول إلى فخ يمنعنا من رؤية الحقيقة بوضوح. ذلك أن (التمسك بالصوابية) هي حالة من التشبث المفرط بالرأي إلى درجة تعيق الفرد عن تقبل النقد أو التفكير في احتمالية خطئه.

في البداية، هذا الإصرار قد يوفر شعورًا بالراحة والثقة، لأنه يمنحنا وهما بأننا نعرف كل شيء. ولكن مع مرور الوقت، تتحول هذه الثقة إلى عائق أمام تطورنا. عندما نعتقد أن ما نعرفه هو الحقيقة الوحيدة، نغلق الباب أمام تساؤلات قد تكشف لنا جوانب جديدة. وكما قال ابن رشد: «الحقيقة لا تضاد الحقيقة، بل توافقها وتشهد لها». فالحقيقة ليست حكرًا على رأي واحد، بل هي نتاج تفاعل وتبادل للآراء المختلفة.

في حياتنا اليومية، نجد أمثلة لا حصر لها على تأثير الصوابية. في وسائل التواصل الاجتماعي، ينغلق الأفراد على وجهات نظرهم ويشكلون فقاعات فكرية تعزز اعتقادهم بأنهم على صواب دائم. هذه الظاهرة تؤدي إلى انقسامات واضحة في المجتمعات حول قضايا سياسية واجتماعية. على سبيل المثال، النقاشات أو اللغط حول قضايا معينة يقود إلى خلافات عميقة، نجد أن التمسك بالصوابية في النقاش يحول الحوار إلى ساحة معركة بحيث يسعى كل طرف إلى إثبات أنه الوحيد الذي يملك المعلومات الصحيحة والدقيقة.

من الناحية النفسية، الصوابية ليست إلا درعا نحتمي به من احتمالية الاعتراف بأننا قد نكون مخطئين. هذا النوع من التفكير يحمي الأنا، ويجعل الفرد يشعر بالسيطرة على العالم من حوله. لكن الاعتراف بالخطأ قد يبدو صعبا، إلا أنه السبيل الوحيد نحو النمو والتعلم. كلما تشبثنا بمعتقداتنا دون التحقق منها ومنحها فرصة للخطأ، زادت احتمالية أن نبقى عالقين في دائرة مغلقة، نعيد فيها تكرار الأفكار نفسها دون أي تقدم.

في بيئة العمل، نجد أن الصوابية قد تكون أحد أكبر العوائق أمام التقدم والإبداع. فرق العمل الناجحة تعتمد على النقاش المفتوح والمرونة في الأفكار. حين يعتقد الأفراد أنهم يمتلكون الصواب المطلق، يعيقون تقدم الفريق، ويصبح التعاون شبه مستحيل. تخيل كيف سيكون حال فريق عمل حيث لا أحد يستمع أو يقبل بتغيير رأيه. هنا تصبح الصوابية أكبر أعداء العمل الجماعي المنتج.

الأخطر من ذلك هو تأثير الصوابية على المستوى الاجتماعي. وقتما تؤمن مجموعة ما بأنها وحدها المحقة، يتشكل نوع من التعصب الذي يقود في نهاية المطاف إلى التطرف. الصوابية تزرع بذور الانقسام، حيث تنمو في بيئة مغلقة لا تسمح بالنقاش المفتوح. مثال على ذلك يمكن أن يؤدي التمسك الشديد بأيديولوجية معينة إلى نشوء حركات متطرفة تسعى إلى فرض أفكارها بالقوة، مثل الجماعات التي تلجأ إلى العنف ضد من يخالفها الرأي مما يهدد التماسك والسلم المجتمعي.

من المفيد أن نسعى دائما لتطوير قدرتنا على الإصغاء، سواء للآخرين أو لأنفسنا. الإصغاء إلى تلك الأصوات الداخلية التي تدفعنا أحيانا إلى التفكير مجددًا في قناعاتنا، خاصة عندما نشعر بالثقة الزائدة فيها. العلاقات الإنسانية تزدهر في ظل التواضع الفكري، حيث يصبح من الصعب بناء علاقة صحية عندما يسيطر رأي واحد على الحوار. كلما انفتحنا على آراء الآخرين، أصبحت علاقاتنا أكثر قوة وتماسكا.

التخلص من فخ الصوابية، يتطلب شجاعة الاعتراف بأننا قد نكون على خطأ، وأن أفكارنا ليست حصونا منيعة. كلما زادت قدرتنا على قبول النقد، اقتربنا من الحقيقة. فالحقيقة ليست محطة نصل إليها، بل هي عملية مستمرة من البحث والتعلم، ولا يمكن الوصول إليها إلا بالانفتاح والشك البناء وهو ما يفتح الباب لتطور التفكير العقلاني في المجتمعات ويمكنها من التقدم إلى الامام باستمرار بدلا من الدوران في دوائر مفرغة من الجدال العقيم والجمود الفكري.

في النهاية، يجب أن نفهم أن التمسك بالصوابية ليست قوة، بل هي ضعف يغلق عقولنا ويمنعنا من النمو. في زمن تشتد فيه الحاجة إلى التفكير النقدي والإبداعي، علينا أن نكون أكثر استعدادًا للشك في رؤانا، لأن في هذا الشك تكمن الحقيقة. وكما قال جون ستيوارت ميل: «إذا كان كل البشر ما عدا شخص واحد يتفقون على شيء، فإن الحق ليس بالضرورة معهم».

الحقيقة هي ما نصنعه من حوارنا المستمر، وما نكتسبه من تواضعنا الفكري.

rajabnabeela@gmail.com